(1)

«الناصرية حركة جماهيرية
استطاعت أن تطبع بصماتها على
الواقع المصرى والواقع العربى»

obeikandi.com

obeikandl.com

ما هى الناصرية ومن هم الناصريون ؟

قد يعتبر البعض هذا السؤال سؤالا ساذجا .

ولكن هناك هجمة شديدة تشن من اليمين وأحيانا من اليسار على الناصرية والناصريين وتحاول هذه الهجمات من ناحية اليمين تشويههم باعتبارهم بقايا مراكز القوى أو اعتبارهم ماركسيين. ومن ناحية اليسار تشويههم باعتبارهم مؤيدين للإرهاب والدكتاتورية أو المتأثرين بلا وعى بشخصية عبد الناصر دون اقتناع فكرى .

وبالتأكيد فإن لمحاولات التشويه هذه تأثيرها على معرفة الجماهير - ومنها جماهير الطلاب - للحقيقة حول الناصرية والناصريين ؟

كانت ثورة 23 يوليو 1952 نقطة تحول بالغة الأهمية لا فى تاريخ هذا البلد فحسب ، وإنما فى تاريخ المنطقة العربية بأسرها أيضا. ثم ما لبثت أن كانت من القوى الفعالة والمؤثرة على الصعيد الدولى بحكم أهدافها وحيويتها وأفعالها .. ومن هنا يمكننا اعتبار أن الفلسفة الكامنة وراء هذه الثورة هى من الطراز الذى يتخطى الحدود الإقليمية للبيئة التى وقعت فيها هذه الثورة.

obeikandl.com

والناصرية التى كانت تعبيراً عن ثورة يوليو- ليست مجرد فكر نظرى، بل أنها قبل ذلك واهم حركة جماهيرية استطاعت أن تطبع بصماتها على الواقع المصرى والواقع العربى. كما كان لها تأثير واضح على حركات التحرر فى العالم الثالث. وحينما نريد أن ندرك أبعاد الناصرية، لا يكون ذلك بدراسة وتحليل لكتابات وخطب وأقوال الزعيم جمال عبد الناصر، وإنما يكون أيضا بالعودة إلى الأعمال التى تم تنفذها بالفعل. وقد ترك عبد الناصر تراثا يعتبر مرجعا أساسيا إذا جاز التعبير توضح لنا ما هى الناصرية:

أولا: نصوص مكتوبة يأتى فى مقدمتها الميثاق وبيان 30 مارس وخطبه وأحاديثه الأساسية فى المناسبات الكبرى.

ثانيا: نصوص تطبيقية مكتوبة فى صورة القوانين والتشريعات والقرارات التى رسمت المعالم الأساسية للمجتمع العربى المتجه إلى الاشتراكية.

ثالثا: مواقفه السياسية فى مواجهة شتى أنواع التحديات السياسية والاقتصادية والعسكرية، المحلية والعربية والدولية.

هذه الأمور الثلاثة- دون الدخول فى تفاصيل- تشكل معالم الفكر الناصرى أو ما يطلق عليه اسم الناصرية.

obeikandl.com

وإذا كان المجال هنا ليس متاحا لسرد كافة نواحى الفكر الناصرى والتى أبرزنا أهم ملامحها فى بيان المنبر الاشتراكى الناصرى. فأنني أستطيع القول أن الناصرية تقوم فى أساسها على عدة مقومات:

الإيمان بالله ومبادئ الأديان

- الإيمان بالقومية العربية والوحدة العربية
- إن الناحية المادية ليست هى العامل الوحيد فى تطور المجتمع وأن الفكر ليس مجرد انعكاس للواقع المادى القائم. ولكن القيم الروحية والفكر الإنسانى لعبت وتلعب دائما بجانب الناحية المادية دوراً كبيراً فى تطور العالم. وأن التفاعل بين هذه النواحى الثلاث هو الذى يؤدى إلى تطور المجتمع
- الإيمان بالإنسان كصاحب فكر يستطيع أن يلعب دورا أساسيا فى تطور المجتمع. وأن يصوغ القوانين الاجتماعية التى تحقق ذاتيته وشخصيته فى إطار المجتمع.
- إن حرية الإنسان ترتبط بمتطلبات وجوده وذلك بأن يتحرر من الفقر والحاجة أى أن يكون لديه الاكتفاء الاقتصادى. وأن يتحرر من الجهل فان المعرفة شرط من

obeikandl.com

شـروط التمتـع بالحرية. وأن يتحـرر من الخوف بحيث يـكون آمنا على يومه ومستقبله.

- الارتبـاط بالـتراث. أى الربـط بـين الفكـر الإسـلامى والفكـر القومـى والقضـاء علـى التناقـض المفتعـل بينهما والذى تستخدمه القوى الرجعية لضرب الفكرة القومية ومبدأ الوحدة العربية.
- التفاعـل مع مكونـات الحضـارة الحديثـة والانفتاح علـى الفكـر العالمى ليكـون ذلك عاملا مـن عوامل التقدم العربى
- النظرة العلمية الشـاملة لمشـاكل المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية
- حتميـة الحـل الاشـتراكى حيث أصبـح هـو الطريق المفتـوح- فى ظروف مجتمعنا لأحداث التنمية الشـاملة فى المجتمع على أساس علمى
- تحقيق التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع فى نطاق تحالف قوى الشعب العامل

وكمـا كانـت الناصريـة بالنسـبة للقواعـد الشـعبية رايـة نضـال، كانـت بالنسـبة لبعـض الزعمـاء أو المتزعمـين

obeikandl.com

والانتهازيين ومحترفى السياسة مادة للتجارة ، يأخذون منها ما يناسبهم ويدارون ما لا يناسبهم ، وفى أحيان كثيرة لعبوا أدواراً تخريبية للناصرية ذاتها باسم الناصرية. أولئك الذين كانوا لا يفيدونها ، ولكن كانوا يستثمرونها لتحقيق مآرب سياسية محلية أو مآرب شخصية. ومن هنا ظهرت بعض الأخطاء والسلبيات التى يحاول البعض استخدامها لإجهاض أكبر حركة ثورية فى تاريخ الشعب المصرى والشعب العربى. وعلى العموم فإن الناصرية هى حصيلة تجارب وصراعات الشعب المصرى ضد الاستعمار والإقطاع والرأسمالية المستغلة طيلة قرن من الزمان . وكان عليها أن تتزامن مع حركة العصر الذى نعيش فيه عصر انتصار الاشتراكية عصر الثورة السياسية والثورة الاجتماعية والتى كانت إحدى النتائج الكبرى للحرب العالمية الثانية. وكان على الناصرية لكى تشق طريقها بنجاح على الأرض المصرية أن تواجه تحديات الاستعمار والرجعية فى المنطقة العربية باعتبار أن مصر تؤثر وتتأثر بما يجرى حولها من أحداث. ومن هنا تكلم كتاب «فلسفة الثورة» عن الدوائر التى تعمل فى إطارها الثورة المصرية ، وهى الدائرة العربية والدائرة الإسلامية والدائرة الإفريقية. إذا فالناصريون ليسوا مجرد بقايا لمراكز القوى أو من مؤيدى الإرهاب والدكتاتورية أو من المتأثرين بلا وعى بشخصية

عبد الناصر دون اقتناع فكرى . بل إنهم مناضلون فى سبيل مبادئ وقيم عبر عنها عبد الناصر وظل يكافح ويناضل حتى استشهد من أجلها. ناضلوا من أجل مصر وقوميتهم العربية على طريق الناصرية، ولم يتخذوها وسيلة للإثراء أو للجاه والسلطان كما فعل البعض. لم يتلونوا ويغيروا من مبادئهم وفق الظروف والأحوال وحسب التبديل فى مواقع مراكز القوى، بل ظلوا مرتبطين بالجماهير فى نضالها من أجل حريتها ومستقبل حياتها . ولعله من المفيد فى هذا المجال أن تعلم جماهير الشباب والطلاب - الذين لم يعاصروا قيام ثورة يوليو المجيدة أن جيل الثورة استطاع أن يحقق:

- جلاء الاستعمار البريطانى بقواعده وجنوده عن مصر بعد معارك مريرة على أرض منطقة القنال بعد احتلال دام أكثر من سبعين عاما .
- وأن يحقق شخصية مصر العربية بعد أن حاول الاستعمار والرجعية طمسها وعزل مصر عن واقعها التاريخى .
- وأن يحارب سياسة مناطق النفوذ فى الوطن العربى و يحطم الأحلاف العسكرية وعلى رأسها حلف بغداد.
- وأن يقود الثورة الاجتماعية ، و يحدث تحولا عميقا فى الواقع المصرى ، ويغير خريطة مصر كما لم تتغير فى

كل تاريخها . وأكد تحقيق سيطرة الشعب على موارد ثروته وعلى ناتج العمل الوطنى ،

- وأن يحرر الاقتصاد المصرى من التبعية بعد أن كان نهبا لقوى الاستعمار والإقطاع والرأسمالية .
- وأن يسترد قناة السويس التى كانت أكبر معاقل الاستعمار الاقتصادى بعد معركة دامية عام 1956 .
- وأن يضع أسس الانطلاق الصناعى والقاعدة العلمية فى مصر لتكون دعامة للاستقلال السياسى .
- وأن يبنى السد العالى ليفرش الخضرة الخصبة على الصحراء المجدبة .
- وأن يمد شبكات الكهرباء المحركة فوق وادى النيل من جنوبه إلى شماله . وأن يفجر موارد البترول بعد انتظار طويل
- وأن يدخل فى صراع مرير ضد الحركة الصهيونية المحتلة فى إسرائيل والمدعمة من الإمبريالية العالمية ويحقق انتصار أكتوبر العظيم .
- وأن يحقق مجانية التعليم فى كافة مراحله بعد أن كان وقفا فقط على القادرين.
- وأن يحرر الحركات النقابية والعمالية والفلاحية من القيود التى عاقت حركتها لكى تساهم فى بناء

obeikandi.com

المجتمع وغير ذلك من إنجازات فى الميادين الاجتماعية والاقتصادية .

- وأهم من ذلك وضع على قيادة العمل الوطنى تحالف قوى الشعب العامل الذى هو المصدر الدائم لقيادات متجددة ، تحمل أعلام النضال الوطنى والقومى مرحلة بعد مرحلة لتبنى الاشتراكية وتحقق وتنتصر. هذه هى الناصرية فى أبسط صورها والتى تعدت أصداؤها ومبادئها ليس فقط حدود مصر وحدود الوطن العربى بل دول العالم الثالث فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. أما الناصريون فهم أولئك الذين يؤمنون بهذه المبادئ ولم يرتابوا أو يخونوها أو يلتفوا من حولها وظلوا صامدين فى مواقعهم .

- ويكفى جيل الثورة يوليو 1952 فخرا أنه حطم الاستعمار القديم بقواعده وأساليبه وعملائه، وأن يطهر الأرض العربية منه . أن جيل الناصريين الجديد يجب أن يعى مستقبل وطنه وأمته وأن يكون قادرا للقضاء على الاستعمار الجديد الذى بدأ يزحف ويطبق بأياديه القوية على رقاب شعبنا والشعب العربى ليعيده مرة أخرى إلى مناطق النفوذ . لقد أصبح من الضرورى استمرار الثورة . فالثورة ـ كما قال جمال عبد الناصر ليست فورانا عاطفيا وإنما الثورة فى

أصالتها : هى علم تغيير المجتمع . ولا يتغير المجتمع بالغضب على ما كان فيه وعدم الرضا بالأوضاع التى سادته ، وإنما يتغير المجتمع بتحليل علاقات القوى الاقتصادية والاجتماعية فيه ، وإعادة تشكيلها على أسس جديدة لصالح أوسع الجماهير .

obeikandl.com